التنشئة الأسرية ودورها في التوافق الاجتماعي للمراهق اليتيم في غياب السلطة الأبوية

الأستاذة: حمادي سليمة
طالبة دكتوراه
جامعة يحي فارس- المدية

ملخص:

إن مستوى المراهق اليتيم من التكيف والنمو يتوقف بدرجة كبيرة على اتجاه الأسرة وعلى الجو السيكولوجي والاجتماعي السائد فيها، حيث يظهر أن الإحباط الذي يعاني منه المراهق اليتيم يكون نتيجة المعوقات التي تزرعها الأسرة في شخصيته في فترة مبكرة من حياته ، وفي هذا المقال نحاول التعرف على خصائص التنشئة الأسرية للمراهق اليتيم من خلال التطرق لإيجابيات وسلبيات أساليب التنشئة المتبعة من طرف الأم وتأثير ذلك على مدى توافقه الاجتماعي.

Compendium :

The adolescent orphan's level of adaptation and growth is standing on a big degree on the orientation of the family and on the psychological and social atmosphere in it, thus it seems that the suffers from is a result of the obstacles which the family builds in his personality in early period from his life ,in this essay we are trying to know the features of the adolescent orphan's family upbringing through tackling the negative and positive methods that the mother follows and also the effect of that on his sociological compatibility·

تمهيد

إن كل ما يتعرض إليه المراهق من أجل استمرار نموه ونضجه النفسي والاجتماعي والانفعالي ثم الفشل أحيانا في ذلك وما يتخلله من مصاعب لابد أن يعود إلى الأسرة، فالأسرة بكل ما تحتويها من عوامل تصبح البيئة الأولى المسؤولة على نجاح أو فشل نمو هذا المراهق اليتيم ، وما ينعكس عليه من سوء توافق نفسي واجتماعي، فالجو الأسري وما يسوده من وئام أو خلاف ونزاع بين أفراد الأسرة سواء الأم والإخوة أو أحد الأقارب أو الأسرة الممتدة وكل أفرادها ، ونوع المعاملة التي يتلقاها منهم من شأنها أن تؤثر في تكوين شخصيته.

1. أثر الإهمال الأسري على التوافق الاجتماعي للمراهق اليتيم

إن ما يتلقاه المراهق اليتيم من سوء المعاملة من طرف الأم أو أحد الإخوة أو أحد الأقارب مما يتعارض مع حاجاته ورغباته كمراهق فإنه يشعر أن أمنه الداخلي مهدد مما يؤدي به إلى القلق والاضطراب ، الذي يؤدي به إلى عدم التركيز الكافي لفهم الدروس وما يدور في الفصل الدراسي، وإلى الفشل في إقامة علاقات جيدة مع زملائه أو بعض أساتذته لوجود هذه المشاكل الأسرية الملحة بالإهمال واللامبالاة، وهذا ما يولد لدى المراهق اليتيم الشعور بالنقص وفقدان الثقة في نفسه وفي الآخرين وخاصة أقرب الناس إليه، وهذا يترتب عليه سلسلة من الاستجابات السلبية " كإهمال المادة الدراسية وعدم القدرة على التكيف أو ظهور بعض التصرفات والاضطرابات كالقلق والشعور بالإنهاك ، وربما التسرب المدرسي أو إحداث الشغب داخل الصف الدراسي"(1)

2. أساليب المعاملة الوالدية للمراهق اليتيم(الأم نموذجا)

إن المراهق في حاجة إلى معاملة إيجابية تساعده على التكيف والتوافق مع المواقف والمشاكل التي يمكن أن يتلقاها في حياته اليومية، وبالتالي يجب أن تكون هذه المعاملة الصادرة من الأم متوازنة، بمعنى أنها لا تكون عائقا

لنمو المراهق بل تكون في موضع الحماية من كل الأخطار، ولا تكون في موضع الإهمال أو السيطرة ، بل يجب على الأم أن تكون المربية الساهرة على مراقة ومتابعة المراهق اليتيم ومساعدته على تحقيق استقلاليته، وفي هذه الحالة يكون المراهق اليتيم في صحة نفسية واجتماعية جيدة ومتوازنة، مع متطلبات المحيط الذي يعيش فيه و " حتى يستطيع أن يدافع على مصالحه ويتخذ القرارات ويتحمل المسؤولية أمام أفعاله ، ويتمتع بحرية الرأي والثقة بالنفس ويعيش في أمان واستقرار وجداني، كما يكون قادرا على مواجهة مشاكله ومصاعبه بنفسه دون الاعتماد على الآخرين"(2).

أما المعاملة السيئة للمراهق اليتيم تظهر في نوعية الوسائل والأساليب التي تستخدمها الأم في تربية ابنها،وقمع حقوقه والأخطر من ذلك " استعمال السلطة في حق حاجاته البيولوجية والحياتية في نموه الطبيعي"(3) وهذا ما يؤدي إلى حدوث " اضطراب من الناحية التكيفية والتوافقية حيث تظهر بعض الانعكاسات على شخصية المراهق، كأن يكون منعزلا أو ثائرا،بالإضافة إلى عدم النضج العاطفي والشعور بالنقص، أي أن المراهق لا يجد نموذجا مناسبا يتقيد به، لذلك يسلك سلوكيات غير عادية منها عدم الطاعة والإحساس بالحقد"(4) .

1.2- المعاملة الحسنة (الأسلوب السوي)

ارتأينا أن نعطي هذا العنوان بدلا من استعمال الأساليب التي تعودنا عليها، حيث وجدنا – حسب رأينا- أن هذه التسمية تجمع بين كل الأساليب السوية وتجمعها تحت تسمية المعاملة الحسنة، وعليه يقصد بالمعاملة الحسنة " الاهتمام المتزن بالابن وتجنب الإفراط في إهماله أو الإفراط في تدليله وتقديره، فتكسبه بذلك فكرة عن نفسه تطابق حقيقته، فلا هي أعظم من قدرته فيغتر ولا هي أقل من قدرته فيذل"(5) فالمعاملة الحسنة تساعد كثيرا على النمو المتوازن للمراهق اليتيم ويحقق له نموا سليما وسويا في جوانبه النفسية والاجتماعية والجسمية والانفعالية وغيرها حتى يهيأ للمواقف المستقبلية كمسؤول وعضو فعال وناجح في المجتمع،وترتكز المعاملة الحسنة التي يجب أن تعبر عنها الأم لابنها المراهق اليتيم على عدة مبادئ نجمعها على شكل أساليب فيما يلي:

- التقبل: مفهوم التقبل يرتبط بشكل واضح ووثيق بمفهوم الاعتبار الإيجابي غير المشروطبمعنى تقدير قيمة الطرف الآخر دون مقابل ، وقد بين (C-Rogers) أهمية التقبل في نمو شخصية الفرد " فالتقبل كأسلوب يمكن أن يظهر بأشكال مختلفة ويرجع هذا الاختلاف إلى شخصية الآباء"(6) إن التقبل يعني قبول المراهق كما هو " دون الاستهزاء به وتفضيله عن الغير، كذلك التحدث إليه بدفء عاطفي يجعله يحس إحساسا عميقا بالود والصداقة عن طريق الابتسامة التي تنمي فيه المحبة وتبعث في نفسه الثقة والحنان "(7) .
- أسلوب تقبل الفردية: ويعني معرفة الأم بقدرات ابنها واختلافه عن الآخرين والنظر إليهنظرة موضوعية وعدم تكليفه بما لا يطيق، ويقضي هذا المبدأ على تربية المراهق كمراهق بمعنى معرفة خصائص مرحلة المراهقة فلا تعامله الأم كطفل ولا كرجل، بل فهم حاجاته الطبيعية ودوافعه النفسية في مختلف مواقفه الاجتماعية، خلاصة القول على الأم أن تدرك أن هذا المراهق اليتيم له شخصية خاصة به لها خصائصها وحاجاتها التي تميزها عن الآخرين وفي ضوء هذه الفروق الفردية تربيه الأم وتعلمه كيف يكون فردا صالحا.
- التوسط والاعتدال: ويعني تجنب القسوة الزائدة والتدليل الزائد وكذلك التذبذب بين الشدة واللين ، والتوسط في إشباع حاجات المراهق اليتيم الجسمية والنفسية ، حتى لا يعاني من الحرمان ولا يتعود على الإفراط والمبالغة في إشباع كل ما يطلبه.
- الاهتمام الإيجابي: ونقصد به جعل الابن المراهق اليتيم محور اهتمام الأم من خلال الجلوسمعه والتحدث في مواضيع تهمه وتهم الأسرة ، التعبير عن رغبة الأم في معرفة أفكار ابنها ومشاركته في مناقشتها والحوار معه وهذا من شأنه أن ينمي عند المراهق العديد من القيم الإيجابية خاصة الاتصال الفعال والحوار الإيجابي، كما أن مدح المراهق في أعماله الحسنة والتعامل معه بلطف يؤدي باليتيم إلى شعوره بالرضا عن نفسه فيكبر متزنا وسويا.

2.2- المعاملة السيئة(الأسلوب الغير سوي)

تتمثل المعاملة السيئة في أنها " معاملة غير ملائمة غير طبيعية بل هي طريقة خاطئة ، كما أنها تمثل نظاما علائقيا يترك بصماته المبينة والمسجلة في صبغة ألم كما تبدو في العنف الملحق والاعتداءات المعنوية والجسدية كالشتم ، الضرب، عدم الاهتمام ، الرفض والنبذ"(8) كما تشمل الإفراط في الحماية والتدليل بحيث تظهر هذه الممارسات في حق المراهق بشكل اضطرابات في السلوك وعادة ما تؤدي إلى الانحراف، وتظهر المعاملة السيئة في شكل أساليب نذكرها فيما يلي:

1. الأسلوب التسلطي: و يأخذ شكل الشدة و الصرامة و مظاهر مختلفة كالأمر والنهي والعتابوالنقد، بالإضافة لمجموعة من الممارسات كالضرب،التوبيخ،التهديد،الحرمان،السخرية،التخويف"التدخل في كل صغيرة و كبيرة تخص حياة الأبناء كتحديد مواعيد الراحة،واختيار الأصدقاء،نوع التعليم"(9) بهذا فإن الآباء المتسلطين لا يشعرون بضرورة شرح أسباب توجيهاتهم فهم يطالبون أبنائهم بالطاعة و الامتثال دون مناقشة أو اعتراض.

ينظر الآباء المتسلطون لهذا السلوك المتسم بالطاعة أنه يدخل ضمن مبادئ الاحترام و الفضيلة لكن بعض الأولياء يتبنون هذا الأسلوب للتعبير على قوتهم أو حتى لا يقدمون تفسيرات أو تبريرات لبعض المواقف ، و في هذا الصدد و انطلاقا مما كتبه "(Serbant L) فإن عدة باحثين أمثال (Koffman) و(Touth) و آخرون، اكتشفوا وجود أعراض اكتئابية و اضطرابات سلوكية لدى المراهق من نوع الإفراط في الحركة،سلوك المعارضة و العدوان،و أعراض أخرى في علاقة مع القسوة و الصرامة التي يعامل بها"(10).

1. الحماية الزائدة: إن أي معاملة تقوم على التسامح المعقول مع الأبناء داخل الأسرة تجعلالتوافق بالنسبة للمراهق أمرا يسيرا، لكن إذا تحول هذا التسامح إلى تساهل زائد فإن ذلك سيؤثر بصفة سلبية على سلوكه و شخصيته بوجه عام، فالإفراط في العناية بالمراهق و الخوف عليه بشكل غير طبيعي، يؤثر سلبيا على تنشئته، وتتخذ الحماية الزائدة أبعادا مختلفة منها:

- التعلق الشديد بالمراهق اليتيم: يعني ذلك رغبة الأم في إبقاء أبنائها معها و الحرص الشديد عليهم لدرجة التدقيق في كل صغيرة وكبيرة.

- التدليل: يتمثل في عناية الأم بأطفالها و الحرص على التجاوز عن عقابهم أو الإقلاع عن العقاب في حالة قيام الابن المراهق اليتيم بأي سلوك خاطئ و يتمثل كذلك في تلبية كل ما يطلبه حتى و إن كان ذلك خارج عن طاقة و مقدرة الأم.

إن المراهقين الأيتام الذين تظهر أمهاتهم اهتماما زائدا يكون سلوكهم أقرب إلى سلوك الطفل، فلكونهم تعودوا على الحماية و الإسراف في التربية يتوقعون دائما مساعدة الغير لهم ،لكن عند تعاملهم مع العالم الخارجي و نظرا لعدم تعودهم على الحياة الاجتماعية فإنهم يتلقون عدة صعوبات تمنعهم من حدوث عملية التوافق فلا يستطيعون اتخاذ أبسط قرار يخص حياتهم أو مستقبلهم"بالإضافة إلى ذلك فإن المراهق الذي تتوفر له الحماية الزائدة لا يسمح له بتكوين علاقات مع الأقران ولا يحصل على الاستقلالية بسهولة"(11)

1. التساهل الوالدي: هو عدم ضمان احتياجات المراهق اليتيم في كل الميادين كالتغذية ،المأوى،الحنان ،العطف، العلاج، ظروف المعيشة وهناك مؤشرات تبين أن هناك إهمال للمراهق اليتيم من طرف الأم فغالبا ما يكون مظهره الخارجي غير لائق ،نقص الرعاية و الانتباه خاصة عندما يقوم بأعمال مشاغبة بالإضافة "للتعب الشديد، بلادة الشعور المزمنة،مشاكل جسدية أو صحية مثلا جروح غير معالجة، طلب أو سرقة الطعام،النوم في القسم،الوصول باكرا إلى المدرسة و الدخول إلى المنزل في وقت متأخر ،فكثيرا ما يعبر عن ذلك بأنه لا يملك أحدا يعتني به"(12).

1. التسامح واللين المفرط: يسود الجو الأسري نوع من اللامبالاة فمن جهة يشعر المراهق اليتيمبأن أمه لا تشجعه على القيام بأفعال إيجابية ومن جهة أخرى يرى بأنها تضع فيه ثقتها وتقبل كل تصرفاته، وعادة ما يجد المراهق اليتيم في هذا النوع من الأسر تساهلا وتسامحا زائدا يؤثر سلبيا عليه في صعوبات أعظم من المعتاد ويصعب عليه التكيف معها أو التوافق مع العالم الخارجي، ووفقا لما كتبه عد الرحمن عيسوي أن " المراهقين في هذه الأسر عادة ما يكون لديهم قليل من الاحترام لآبائهم والرغبة الضئيلة في حمل أعبائهم المنزلية، فهم يتوقعون أن تقوم هذه الأسرة على خدمتهم في حين لا يقدمون بالمقابل إلا القليل من الخدمات، بل يشعرون بالاستياء وعدم الأمان عند طلب خدمة منهم"(13) كما يلوم هؤلاء المراهقين أمهاتهم عندما يخطئون أو عندما يتعرضون لمشكلة ما وحجتهم في ذلك أن الأم لم تقدم لهم التوجيهات والنصائح الكافية لتجنب المشاكل، ومن نتائج معاملة المراهق اليتيم بهذا الأسلوب عدم تحمله المسؤولية واعتماده على الغير، عدم قدرته على تحمل مواقف الفشل والإحباط، ظهور حب الذات وتفضيلها على الآخرين

1. أسلوب التفرقة: حسب هذا النمط تلجأ الأم إلى التفرقة بين الأبناء وعدم المساواة بينهم فيالحقوق والواجبات فمثلا تتجاوز عن أخطاء الصغار وتعاقب الكبار بشدة أو العكس ، وقد تميز بين الجنسين فتعامل الذكور أفضل من الإناث أو العكس ، كذلك قد تفرق بين الأبناء في المعاملة بسبب السن أو الترتيب بين الإخوة أو لأي اعتبارات أخرى، ومهما كانت الأسباب فنتائج ذلك سيئة فتخلف الكره والعداوة بين الإخوة وتكبر الهوة بينهم ويتباعدون في التفكير وفي الطموحات والأهداف ويقل التعاون بينهم.

- الاستقلال المفرط: يدرك المراهق اليتيم مقدار الحرية التي تمنحها الأم له، دون وضع أيشرط أو قيد على رغباته وآرائه ، وعادة ما نلاحظ ذلك عندما يكون عدد الأبناء كثيرا أو عدم قدرة الأم على السيطرة على الأمور التي تخص الأسرة ، فتعطي حرية التصرف للمراهق اليتيم ظنا منها أنه أصبح رجلا وعليه تحمل مسؤولية نفسية.
- التطفل: وتعني تدخل الأم في كل ما يتعلق بالمراهق اليتيم حتى أدق خصوصياته مما يقيد حريته، فمثلا تسأله عن ما كان يدور مع رفاقه من حديث، لدرجة أن المراهق اليتيم يحس برغبة في تجنب أمه.
- تلقين القلق الدائم: يعني محاولة الأم أن تغرس الهم والقلق في نفسية المراهق اليتيم وذلك " بالإكثار من لومه وتعداد أخطائه وتذكيره بها مرارا وتكرارا، واللجوء إلى التهديد بالعقاب عندما يتصرف تصرفا سيئا"(14)

3.2- المعاملة المتذبذبة:

هناك أسلوب آخر للمعاملة نستطيع القول أنه يتوسط المعاملة الحسنة والمعاملة السيئة، وهو أسلوب المعاملة المتذبذبة، ويقصد به عدم الثبات في أسلوب معاملة الأم للمراهق اليتيم ويتراوح ذلك بين الشدة واللين، فمثلا تعاقب المراهق اليتيم مرة على فعل ما ويثاب في نفس الوقت عليه مرة أخرى، كما يمكن أن نجد التذبذب ليس عند الأم بل عند أحد الأقارب أو الجيران ممن يساهمون بطريقة ما في تربية هذا المراهق اليتيم، كأن تؤمن الأم باللين والتدليل وأن يقوم شخص آخر بتربية المراهق اليتيم بالصرامة والشدة أو العنف أحيانا.

3. السلطة في الوسط الأسري

حدد زهير حطب السلطة على أنها " أداة توفر للآباء الشرط الموضوعي لكي يتمكنوا من نقل قيم الأسرة التي هي في أغلب الأحيان قيم المجتمع أيضا إلى الطفل"(15) فالسلطة الأبوية ليست سوى انعكاس مباشر للقيم والمفاهيم السائدة في المجتمع، وتتجسد هذه السلطة في عدة عناصر منها المسموحات والممنوعات التي تفرض على الأبناء داخل وخارج الأسرة.

يكتسب الأب عامة سلطة محدودة على الابن تنتج عن وضعية الملبي ، حيث يكون الطرف المتلقي لهذه السلطة في موقف الخاضع للشروط التي يفرضها الملبي وتنحصر عادة هذه الشروط في ضرورة طاعة الأب أي تقبل الأبناء

لسلطة الآباء ، فإذا كانت الحاجة إلى الحب موجودة ابتداءا من الشهر الأول من عمر الطفل ، فالسلطة لا تصبح ضرورية له إلا في بداية المراهقة ، إذ تكون أكثر أهمية من الحب والحنان، لأن الطفل لا يستطيع أن يستغني عن تدخل السلطة الأبوية وعندما يحرم منها قد يحدث عنده اضطرابات نمطية متفاوتة" (16)

تقودنا هذه النقطة إلى التحدث عن أساليب السلطة الأبوية وهي نوعين الأسلوب المتشدد والأسلوب المرن ، حيث يتضمن الأسلوب الأول نوعين التشدد اللفظي ويمارس هذا الأسلوب حينما يكون الأب غير قادر على القمع بشكل كامل فيعتمد على التهديد والوعيد والتأنيب عن طريق استحضار قمع تخويفي داخلي، وهناك التشدد القمعي يمارس الأب السلطة عن طريق استعمال العنف الجسدي كالضرب المبرح الذي يسبب الألم والضرر المادي والمعنوي كما يستعمل التعذيب ، وينعكس ذلك على المراهق بين الثوران على الأب وبين الامتثال للعنف أو ردود أخرى تتفاوت حسب شخصية كل مراهق .

أما النوع الثاني من السلطة الأبوية يتضمن ثلاثة أنواع، الأسلوب المرن الحواري، حيث تستعمل السلطة أسلوبا حواريا في تنشئة الأبناء ولتحقيق ذلك يستعمل الأب كل الوسائل المتاحة لذلك خاصة الاستماع لانشغالات الأبناء والحوار معهم ومناقشتهم ، وتقبل آرائهم وتوجيههم عن طريق إقناعهم، أما الأسلوب المرن الشكلي يستعمل فيه الأب الحوار بطريقة سلمية ومحاولة طرح وجهة نظره بطريقة غير مباشرة ، أما الأسلوب المرن المتراخي فيجسد نمط السلطة الأبوية الضعيفة والغير قادرة على منع أبنائها من فعل الأخطاء أو تجنبها ، فهي سلطة متراخية مفككة وغالبا ما ينتج عنها عدم طاعة الأب وعدم احترامه بل استغلاله.

وإذا سلمنا بأن الأسرة تتكون في أبسط حالاتها من الأم والأب والأبناء ، فهي بذلك " المكان الذي تتجسد فيه السلطة الأسرية بصفة أن الوالدين هما اللذان تلقى على عاتقهما مسؤولية رعاية الأبناء الذين يكونون تابعين لكل ما يرسم من خطط وقرارات، لذا فالسلطة الأسرية لها الحق في السؤال على أخص أمور حياة أفرادها وسلوكهم الشخصي ولها حق النقد والتعليق والنفي"(17) .

4. الإفراط في السلطة وانعكاسها على التوافق الاجتماعي للمراهق اليتيم

الإفراط هو "استعمال السلطة بكثرة إلى حد الحنق بالنسبة للممارس عليه السلطة، ونجد هذا النوع عند الآباء ذوي التربية التقليدية والأشخاص المصابين بأمراض نفسية ، فلا يتركون له حرية ويتحكمون في كل شيء ، كاتخاذ القرارات مكان الفرد الممارس عليه السلطة"(18) إن الإفراط في السلطة يحدث سلوكيات مختلفة لدى المراهق اليتيم ويولد مظاهر الخوف والكآبة والعزلة، فيلجأ إلى جماعة الرفاق من أجل تحقيق ذاته، من خلال تلك المجموعة يحقق صورة مثالية عن ذاته ويوفر الأمان الذي يفتقده في أسرته وفي قدراته ،وبالنسبة للمراهق اليتيم فعادة ما تمارس عليه السلطة بطريقة غير مباشرة سواء من طرف الأم أو أحد الإخوة أو أحد الأقارب أو الجيران، وكل نوع له درجة تأثير تختلف حسب الشخص الذي يمارس السلطة والأسلوب المتبع في ذلك، فإذا كانت تقوم على الأسلوب المرن الحواري يكون المراهق في صحة نفسية واجتماعية جيدة، إذ أنه ومع تقيده بالضوابط التي يضعها له من يقوم بتطبيق السلطة عليه يتعلم الكثير من القيم الإيجابية كالاحترام والمسؤولية والاعتماد على النفس وتعلم صنع القرار.

5. الحرمان من السلطة وانعكاسها على التوافق الاجتماعي للمراهق اليتيم

يحمل لفظ Carence في اللغة اللاتينية معنى النقص والحرمان ويدخل في هذا الحرمان أبعاد نوعية وكمية ، اقترح كل من M.Soule و S.Lebovici أن يعتبرا " الحرمان الأبوي كنقص في التفاعل بين الأب وطفله (عامل كمي) سواء أكان لذلك علاقة بخلل أم لا (عامل نوعي) أو كان ذلك التفاعل غير مستمر (كمي) قام هذان المؤلفان بهذا الاقتراح المنهجي على أساس تقرير قام به Andry سنة 1961 للمنظمة العالمية للصحة (OMS) وذلك احتجاجا على

نسيان مفهوم الحرمان الأبوي بالمقارنة مع البحوث الكثيرة المنجزة حول الحرمان الأموي، لقد كان انتقاد Andryلاذعا فهو يرى أنه " إذا كانت التفاعلات بين الأم وطفلها في الأشهر الأولى هي المسيطرة ، وإذا كان الطفل يبدي تعلقه الأول بأمه فإن لأشخاص آخرين خاصة الأب أهميتهم أيضا في هذه التفاعلات"(19) .

وهذا نفس ما أكدته الأعمال المنجزة في هذا المجال أيضا " أن الحرمان من الأب قبل 4-5 سنوات يؤدي إلى تواتر السلوك العدواني وانحراف الأحداث وكذا عدم استثمار القطاع المعرفي ، ووجود اضطرابات في الشخصية"(20)

"إن الأطفال المحرومين من الأب يظهر لديهم سرعة التأثر والحساسية ، كما يعاني هؤلاء من ضعف التحصيل وهذا يعود لنقص الرعاية والاهتمام نظرا لغياب العنصر الثاني الفاعل في الأسرة مما يكون له آثار سلبية"(21) حيث " تم التأكد من خلال الدراسات إلى أن غياب الأب وافتقاده يعتبر من المواقف التي يمكن أن يكون لها آثار وعواقب على شخصية الأبناء وخاصة المراهقين والمراهقات ، كما تبين أن الاضطرابات السلوكية خلال سن الرشد قد تكون متواجدة على نحو خاص بين الأفراد الذين توفي أحد والديهم في مرحلة الطفولة أو المراهقة"(22)

الحاجة إلى الوالدين الذين تتوفر لديهما الحب والرعاية حاجة حيوية هامة، وحسب هذا الباحث فإن الأطفال والمراهقين إذا لم يظهر لهم الآباء حبهم في وضوح وقوة فإنهم قد لا يكسبون تقدير الذات، ولا يتمكنون من إقامة علاقات بناءة ممتعة مع الآخرين ولا الشعور الواثق المطمئن بهويتهم وذواتهم، مما ينجر عنه الكثير من المشكلات بأنواعها المختلفة ابتداء من المشكلات المدرسية وفساد العلاقات بالآخرين ، إلى الاضطرابات العصبية"(23)

إن الحرمان من السلطة أو نقصها له تأثير سلبي لا محالة على سلوك المراهق اليتيم حيث " تجدر الإشارة إلى أن في الحياة الأسرية من الضروري تواجد(حقل للسلطة) بعيد عن المعارضة والمقاومة بل بالعكس يعم على بناء شخصيته وفتح طريق الحرية والاستقلالية ، وغياب الأب يؤدي إلى تنادر حرمان السلطة"(24) لأن الأب يعمل على ترسيخ القيم الأخلاقية وغيابه يؤدي إلى ظهور سلوكيات مضادة للمجتمع، إذ يعلن JM.Sutter " أن الأطفال المتواجدين في وضعيات عائلية غير عادية يظهرون معدل للسلوكيات المضادة للمجتمع أكثر ارتفاعا بالمقارنة مع الأطفال الذين يعيشون مع أوليائهم، بالإضافة إلى أن الأسرة التي يفقد فيها الأب تكون معرضة لتغيرات أخرى كالتدهور الاقتصادي والاجتماعي" (25) وعندما يحدث أن يفقد المراهق مصدر السلطة المعتاد وهو الأب بصفة واضحة وملموسة يبدأ في إظهار القلق وبعض السلوكيات المعارضة ويحاول إيجاد البديل ، ولا تقتصر أهمية السلطة الأبوية بالنسبة للمراهق فقط بل تبدأ قبل ذلك حيث يقوم الأب بدور " هام في عملية التفاعل الاجتماعي العائلي، لأن شعور الطفل اتجاه محبة والده وتقديره له وعلاقته به، أمر له الأثر الكبير على سلوكه وتكيفه وتمتعه بالأمن والاستقرار النفسي.

من خلال الاتصال الجسمي والنفسي الدائم بين الطرفين ، لأن من خلاله يحس الطفل ويشعر بمدى اهتمام الأب ورعايته والعناية به، وهذا لا يقاس بالوقت الذي يقضيه الأب مع طفله بل بما يمنحه له من حب ورعاية واهتمام وتواصل، وذلك يعتبر ذو أهمية قصوى في حياة العائلة ككل وحياة الصغير على وجه الخصوص"(26) ونظرا لفقدان هذا الدور يصبح لدى الأم ميل إلى أن تكون هذه السلطة ناقصة كما وكيفا، وحديثنا عن أهمية وجود الأب في حياة المراهق يقودنا إلى الحديث عن أهمية وجود الأب في المنزل فهو يمثل نموذجا للنظام والسلطة" فهو الموجه الأول الذي يميز له الصواب والخطأ، لذلك فغيابه يعني غياب نموذج السلطة ، ويتضح هذا الأمر أكثر عند النزلاء من الأطفال والمراهقين المتواجدين بالمؤسسات الاجتماعية والذين يفتقدون إلى هذا المعيار الواضح للسلوك، حيث أنهم يتلقون التوجيهات من أكثر من شخص وقد تتناقض هذه التوجيهات وهذا ما يؤدي إلى التضارب وعدم الثبات لما يجب أو لا يجب القيام به من سلوكيات فهناك ارتباط بين ظهور السلوكيات المضادة للمجتمع ، وغياب الضمير والأخلاق وذلك نظرا لغياب سلطة الأب وتوجيهاته الأخلاقية والاجتماعية أو النموذج الذي يقتدي به "(27)

فإذا كان غياب الأم ينجم عنه العزلة فغياب الأب ينجم عنه غياب السلطة لهذا فإن الحرمان الأبوي يؤدي إلى اضطرابات حادة وهذا ما يؤكده الباحثان في القول بأنه " يمكن أن يؤدي إلى تعويضات مفسدة وإلى انحرافات عائلية أكيدة، فمن الضروري أن يمارس الأب سلطته ليس بطريقة اعتباطية ولكن بطريقة كاملة ليس جيد أن يضعها في سبات أو يترك أحد آخر يتدخل "(28)

إن حديثنا عن الحرمان من السلطة الأبوية حديث يؤدي إلى نتيجة مفادها إما سلطة مطلقة من طرف الأم والتي يكون تأثيرها واضحا في تربيته وإما تترك هذه المهمة لأحد آخر قد ينجح في ذلك أو العكس" فالأم ليست فقط مصدر للحنان وإنما يجب أن تصنع الممنوعات "(29).

6. المراهق اليتيم والتمرد على السلطة:

عارض علم النفس الحديث الاتجاه القديم الذي ينظر إلى المراهقة على أنها فترة ثورة وتمرد موجهة نحوالسلطة، حيث ينظر علم النفس الحديث إلى مظاهر التمرد على أنها" مظاهر عارضة تنشأ نتيجة لجهل الوالدينوالمربين بالأساليب التربوية الصحيحة، وعدم فهم طبيعة المرحلة التي يمرون بها، فيحيطون المراهق بالقيود التيتحول بينه وبين تطلعه إلى الا ستقلال والحرية، خاصة وأن الاستقلال والحرية مطالب أساسية تتطلبها هذه المرحلة،ومرحلة المراهقة وما يصاحبها من ت غيرات هي عبارة عن تفاعل مجموعة من العوامل، وهي العامل الانفعالي الذييبدو واضحًا في عنف انفعالات المراهق وحدت ها، هذا الاندفاع الانفعالي ليست أسبابه نفسية خالصة، بل يدخل ضمنهاما للتغيرات الجسمية من آثار على هذه الانفعا لات"(30)

خاتمة

إن حديثنا عن تنشئة المراهق اليتيم لا يعني بالضرورة إمكانية حدوث أخطاء حتمية في تنشئته ، وإنما ننوه بذلك إلى ضرورة تفهم وضعيته، خاصة في ظل بعض الظروف القاهرة التي تعترض تكوينه، بدءا بالأسرة حيث تجهل كثير من الأمهات الأسلوب الذي يجب التعامل به في هذه المرحلة فتميل إلى العنف أو التساهل أو الإهمال ، لذلك على الأسرة مساعدة هذا اليتيم والرفق به ليكون فردا صالحا وناجحا.

وفي الأخير نقول أن المراهق اليتيم كائن يحتاج إلى الكثير من الرعاية والعناية خاصة ونحن نشهد ظواهر انحرافية خطيرة ما كنا نسمع بها من قبل ، وسيكون هذا المراهق اليتيم فريسة سهلة بين أيدي المنحرفين في ظل غياب السند والدعم الذي يحميه من الضياع .

قائمة المراجع:

1. **مجلة المحافظة السياسية**، وزارة الدفاع الوطني، 1978، ص 108.
2. libraire,Paris,1997,p39. Sillamy(N), **Dictionnaire de psychologie**. Larousse
3. Berge(A),**La liberté dans l'éducation**.Ed scarabée, Paris,3éme Ed,1961,p51.
4. زهير حطب، **مجلة الفكر العربي**، معهد الإنماء العربي، طرابلس،1981، العدد33-34،ص 189.
5. هدى محمد قناوي،**سيكولوجية المراهقة**.مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1992، ص 227.
6. Osterieth(P),**L'enfant et la famille** .Ed scarabée,France,1976,p30.
7. Greiner(G),**Fonction maternelle et paternelle** .Ed ERES,France,2002,p2.
8. انتصار يونس، **السلوك الإنساني**.المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 1972، ص 395.
9. حامد عبد السلام زهران، **الصحة النفسية والعلاج النفسي**، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 1997، ص 397.

10. Serbant(L),**Psychologie et psychopathologie et société**.PUF,Paris,1997,p220.
11. محمد حسن شلتوت، **صعوبات التكيف الأسري**.مكتبة الفجالة، مصر، دون سنة، ص 109.
12. Barudy(G**),La douleur invisible de l'enfant ,approche écosystématiques de mal traitance**.Ed ERES,France,1977 ;p97.
13. عبد الرحمن عيسوي، **علم النفس الفيزيولوجي**.دار النهضة العربية، بيروت، 1993، ص 182.
14. عبد الرحمن عيسوي، **مرجع سابق**، ص 285.
15. زهير حطب، مرجع سابق،ص 185.
16. نفس المرجع، ص 185.
17. أحمد زكي صالح،**علم النفس التربوي**.مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، دون تاريخ، ص 24.
18. Michaux,**Le jeune et l'autorité**.PUF,paris,1972,p39.
19. M.Ody, **Carence paternelle du père et de la fonction paternelle dans le développement du fonctionnement mental**.intraité de psychiatrie de l'enfant et de l'adolescent, P.U.F, vol3, paris, 1989, p269.
20. M.Ody.op.cit.p 279.
21. قاسم أنسي، **أطفال بلا أسر**.مركز الاسكندرية للكتاب، مصر، 1998 ، ص 38.
22. الحوات علي الهادي وآخرون، **رعاية الطفل المحروم**.طرابلس، ليبيا، 1989، ص 93.
23. نفس المرجع، ص 94.
24. JM.Sutter,M. Luccioni,**Carence paternelle et carence d'autorité**, in revue de neuropsycho infantif ,1965,p127
25. Op.cit.p128.
26. رمضان عبد الرؤوف ،**آفاق معاصرة في الصحة النفسية للأبناء** .دار الكتاب ، القاهرة، 1998، ص 16.
27. قاسم أنسي،**مرجع سابق**، ص 33.
28. J.Labrell, F.Zaouche, C.Gaubion, **Le rôle du père dans le développement du jeune enfant**. Nathan édition, France, 1997, p76.
29. Op.cit.p96.
30. معوض خليل معوض،**سيكولوجية النمو الطفولة والمراهقة** ..دار الفكر العربي، ط3،القاهرة،1994،ص،387.